Necmettin Erbakan Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, 39, 2015, ss. 183-204.

آيات الاستدلال بخلق السموات والأرض على البعث في سور الإسراء ويس والأحقاف

د. ياسر على محمد على
Yasir Ali Muhammed Ali
Dr., Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi İlahiyat Fakültesi
Arap Dili ve Belağatı Anabilim Dalı Öğretim Görevlisi
yasseralimuhammed@hotmail.com

İSRÂ, YÂSÎN VE AHLÂF SÛRELERİNDE GÖKLERİN VE YERİN YARATILMASI İLE İLGİLİ ÂYETLERİN ÖLDÜKTEN SONRA DİRİLMEYE DELİL OLARAK ZİKREDİLMESİ

Kur'an'ı Kerîm'de, göklerin ve yerin yaratılmasının; öldükten sonra dirilişin mümkün olduğunu gösteren deliller olduğunu ifâde eden ayetler mevcuttur. Bu araştırma, İsrâ, Yâsîn ve Ahkâf surelerindeki konuyla ilgili ayetlerle sınırlandırılmıştır. Konuyla ilgili ayetler, Tefsir ve İ'câzu'l-Kur'an ile ilgili eserlerden yararlanılarak belâgat açısından tahlil edilmiştir. Söz konusu âyetlerdeki belagatla ilgili hususların en fazla ön plana çıkan yönlerini, Kur'an metninin çeşitli söylem tarzlarını ve kelimeleri seçimindeki hassasiyeti göstermek için, belâgat kâideleri ve üslûpları bu ayetlere uygulanmıştır.

الملخص

هذا بحث بلاغي تحليلي يبحث في آيات الاستدلال بخلق السموات والأرض على البعث، وقد وردت متناثرة في آي الذكر الحكيم، و اقتصر البحث على ثلاث آيات وردت في سور الإسراء و يس والأحقاف، د قمت بتحليل الآيات تحليلا بلاغيا بعد طول استقراء لكتب المفسرين، وكتب إعجاز القرآن؛ مظهرا أبرز ما اشتملت عليه الآيات من ألوان بلاغية وبيان دقة النظم القرآني في تنوع أساليبه واختيار كلماته في مخاطبة المنكرين للبعث.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخير خلق الله أجمعين.وبعد

فالقرآن الكريم هو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، ونوره المبين، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، إنه روح من أمر الله، به تحيا القلوب، وكثيرا ما أوصانا رسولنا محمد – صلى الله عليه وسلم– بحفظه وتأمله واتفقه أساليبه وتدبر أحكامه...إلخ.

هذا، ومن يدقق النظر في نظم القرآن الكريم بدعوته للناس يجده يراعي حالتهم النفسية والاجتماعية حتى تجد دعوته صدى للاستجابة؛ مدعما دعوته بالأدلة التي يلمسونها وبخاصة ما تتكرر حتى حواسهم كخلق السموات والأرض؛ حتى يعملوا عقولهم فيها ويؤمنوا بقدرته.

إنه بهذه الأدلة يسد على المنكرين كل طريق من طرق التكذيب والإعراض، حتى يجدوا أنفسهم في نهاية المطاف مذعنين للاعتراف بالحق؛ إذ إنها أدلة يقر بها كل عقل إنساني، ولا يختلف عليها اثنان؛ لأنها أدلة استنتاجية مسلمة المقدمات، ومسلمة النتائج، هذا إلى جانب أن القرآن يتدرج مع عقول المنكرين للبعث شيئا فشيئا حتى يفاجئهم في نهاية المطاف بالقول الفصل.

أما مجال تطبيق هذا المنهج في الدعوة في هذا البحث فهو في (آيات الاستدلال بخلق السموات والأرض على البعث) التي ذكرها القرآن باعتبارها وسيلة للدعوة في مواجهة المكذبين المنكرين للبعث، وقد تناول البحث هذه الدلائل بطريقة بلاغية تبرز ما في دلالات التراكيب وخصائص الجمل من إشارات وإيحاءات وتصريحات وأخذت سور الإسراء ويس والأحقاف أنموذجا للكشف عما فيها من أسرار بلاغية.

الآيات محل البحث:

قال تعالى: (**أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إَلاَّ كُفُورًا**)[1]

قال تعالى: (**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**)[2].

قال تعالى: (**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[3] .

1 الإسراء، 17/ 99.

2 يس، 36/ 81.

3 الأحقاف،46/ 33.

أولا: تشابه البناء التركيبي في آيات (الإسراء – يس – الأحقاف)

اتفقت هذه المواضع في وجوه كثيرة حيث نجد اتفاقها في الغرض العام الذي سيق له النظم، وهو تقريرهم بقدرة خالق السموات والأرض على إعادتهم مبالغة في تقرير ذلك ومراعاة لما بدا منهم من إنكار شديد دعاهم إلى إنكار الفاعل كما قالوا: (...**مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**)[4] وقولهم: (...**مَن يُعِيدُنَا**...)[5] ، ومن ثم عدوه خرافة يهذى بها فقالوا: (...**مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**)[6]

كذلك نجد أن هذه المواضع قد اتفقت في الاستدلال بمرحلة ابتداء الخلق "**أو لم يروا**....." [الإسراء،....] و[الأحقاف،....]، (أو ليس....) [يس،...].

ومن حيث التناسب اللفظي نجد أن هذه المواضع الثلاثة اتفقت في:

أ- إيثار الأسلوب الإنشائي في صورة الاستفهام (أولم- أوليس).

ب- الاتفاق في الاستدلال بخلق السموات والأرض دون استقلال كل منهما بذاته (خلق السموات والأرض....) مع الاقتصار على عموم الخلق دون تفصيل بذكر منافع أو غير ذلك.

جـ- إيثار النظم القرآني التعبير بمادة (خلق) (خلق السموات والأرض) دون غيرها لدلالة المادة على أولية الخلق.

د- استعلاء معنى التهكم والسخرية -على تفاوت بينهما- في مقابلة ما بدا منهم من إنكار واستهزاء وتهكم.

الاتفاق في استعمال فعل الرؤية (أو لم يروا) بخلاف موضع يس.

أوجه الاختلاف بين الآيات

أ- الاختلاف في التزام نهج التوكيد، حيث نجد اتفاقًا في موضعي يس والأحقاف (**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**)[7] ،بينما انفرد موضع يس بخلوه من هذا التوكيد (**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**)[8]

4 يس، 36/ 78.

5 الإسراء، 17/ 51.

6 الأحقاف،46/ 17.

7 الأحقاف،46/ 33.

كذلك اختلفت هذه الآيات الثلاث في نهج التوكيد، حيث نجد توكيد الخبر في موضعي الإسراء، يس (**بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم**)[9] واختلاف موضع الأسراء (...**بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**)[10]

كذلك تفاوت النظم القرآني في تلك المواضع إيجازًا وتفصيلاً حيث اتفق موضعا (الأحقاف، ويس) في الإشارة إلى القدرة على خلق السموات والأرض (**الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**...) إذ انفرد موضع الأحقاف بتوكيد ذلك بنفي العجز عنه (...**وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ**...)

عدم الاتفاق في ذكر الجواب في المواضع الثلاثة حيث نجد أن موضعي (يس والأحقاف) التزم بذكر الجواب بخلاف موضع الإسراء فإنه خلا من ذكر الجواب.

اختلاف المواضع الثلاثة في الإشارة إلى متعلق القدرة من حيث التعميم والتخصيص بخلق مثلهم، بينما انفرد موضع الأحقاف بالتزام التعميم (...**بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**...) وجاء التخصيص في الآيتين الأخريين.

اختلفت هذه المواضع في مدخول الهمزة وهذا يرجع إلى اختلاف السياق الوارد فيه كل نظم.

والملاحظ أن آية الإسراء آثر النظم القرآني فيها سمتًا خاصًا روعي فيه جوانب بعينها كالاستدلال بمرحلة ابتداء الخلق (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ...)، والجمع بين خلق السموات والأرض مقترنين، وإرادة تقريرهم بقدرة الله على إعادتهم (...**قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**...)[11]، وقد تعددت مظاهر ذلك مراعاة لحال المخاطبين حيث انفردت السورة بعرض موقفهم من البعث عرضًا خاصًا يكشف عن إيغالهم في الإنكار واستعلاء تهكمهم واستهزائهم عرضًا لم يرد في موضع آخر، وقد استلزم ذلك عرض شبههم والتي طالما تَمَسَّكُوا بها عرضًا فريدًا، حيث قالوا: (**وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**)[12] ، مؤثرين مخالفة ما التزم في مواضع كثيرة من تقديم بلى الأجساد على العظام كقوله تعالى: (...**وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا**...)[13]، حيث أحالوا بعثهم خلقًا جديدًا بعد تفتت عظامهم وبلى أجسادهم فأفحمهم بإحالتهم إلى خلق أعظم وأكمل خلق من عدم، فهو أبعد عن الحياة، وهذا أدل على القدرة، ومن ثم أتى التركيز على الاستدلال بمرحلة ابتداء الخلق مقابلة بإحالتهم بعثهم خلقًا جديدًا.

8 يس، 36/ 81.

9 يس، 36/ 81.

10 الأحقاف،46/ 33.

11 الإسراء،17/ 99.

12 الإسراء،17/ 49.

13 المؤمنون، 23/ 82.

وإيثار الاستفهام في الآية الكريمة قد جاء في موضعه امتثالاً لنهج السورة في عرض أدلة البعث، حيث التزمت نهج الترقي في الاستدلال مراعاة لالتزام المخاطبين لهذا النهج عند عرض شبههم حيث نجد ذلك واضحًا في قولهم: **(وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)**.[14]

حيث نلاحظ أنهم ابتدأوا باستحالة بعثهم لكونهم أبعد ما يكونون عن الحياة (عظامًا)، ثم ترقوا إلى ما هو أدخل (وَرُفَاتًا) ثم تَرَقَّوْا فَتَدَرَّجُوا في الاستحالة بقولهم: (أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)؟ الذي يصف استحالة البعث بعد الفناء بما هو أدخل في الإحالة؛ لأن إحياء العظام والرفات محال عندهم وكونهم خلقًا جديدًا أدخل في الإحالة[15].

فقد جاء البدء بالعظام قبل الرفات تَرَقِّيًا معهم في الإنكار، وتصاعدًا معهم في الرَّدِ عليهم[16].

كما يتجلى ذلك في الترقي والتدرج في إنكارهم حيث ابتدأوا بإنكار البعث، ثم توغلوا في الإنكار والإحالة بالسؤال عن المعيد (من يعيدنا)؟ [الإسراء، 51]؛ وذلك لأن البحث عن المعيد أدخل في الاستحالة من البحث عن أصل الإعادة.[17]

ثم ازدادوا تهكمًا بسؤالهم عن الوقت (متى هو)؟ فلاءم ذلك إفحامهم بإثبات القدرة عليه ملتزمًا نهج التَّدَرُّجِ فأخبرهم بأنهم لو صاروا إلى ما هو أبعد من هذا (حديدًا)، ثم ترقى إلى خلق يكبر في صدورهم مما لا يتوقعون منه كالخلق من عدم، فأتى الإفحام بهذا المظهر.

أما موضع يس فأول ما يلحظ فيه هو مجيء النظم خاليًا من التوكيد **(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم)**[18]، وهذا يرجع إلى اختلاف السياق الوارد فيه، واختلاف أحوال المخاطبين، وتفاوت درجتهم في الإنكار والاستهزاء، واختلاف مقصود السورة في نهجها في عرض أدلة البعث.

فالسياق القرآني عَرَضَ موقف هؤلاء المنكرين من البعث وإنكارهم له عَرْضًا يستعلى عليه الاستهزاء والتهكم حيث جاء **(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)**[19]، حيث تَجَرَّأَ وضرب مثلاً لمن له القدرة

14 الإسراء،17/ 49.

15 ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير*، دار سحنون، تونس، 15، 22.

16 الخضري، محمد الأمين الخضري، *الإعجاز في نسق القرآن دراسة للفصل والوصل بين المفردات*، مكتبة وهبة، ط أولى، 2001م،ص181.

17 المطعني، عبد العظيم المطعني، *التفسير البلاغي للاستفهام*، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى،1411ه، 1990م، 2، 213.

18 يس، 36/ 81.

19 يس،36/ 78.

المطلقة؛ ولذا أتى التقديم للمجرور (لنا) وأوغل في إنكاره فسأل عن المعيد، وآثروا إحالتهم البعث وعود الحياة إلى العظام بعد تفتتها على نهج سابقيهم، ويشهد لذلك ما جاء في أسباب النزول[20].

فأفحمهم إذ أحالهم إلى ما هم به مقرون؛ ليقابل الاستهزاء باستهزاء أشد، وقد جاء الاستدلال بهذا الأسلوب والبناء ملائمًا لمقصود السورة ونهجها في عرض أدلة البعث إذ مقصودها "إثبات الرسالة لإنذار بيوم الجمع"[21]، ومن ثَمَّ فقد بنيت السورة على تقريره من أولها إلى آخرها، وحشد الدلائل على ذلك بأبلغ وجه، وَبَيَّنَ بيانًا لم يكن في موضع آخر، وَصَوَّرَ تصويرًا لم يسبق له نظير، فافتتحت ذلك بقوله تعالى: (**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**....)[22] وختمت بقوله: (**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**)[23]، وانفردت في الإجابة عن تساؤلهم عن ميعاده بما يلائم البعث (**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ**)[24]؛ ولذا تعددت فيها وسائل الاستدلال على البعث منها ما اتجه إلى مخاطبة العقل تارة، ومنها ما اتجه إلى مخاطبة الحس، ومنها ما اتجه إلى مخاطبتهما معًا.

وقد تَرَقَّتْ السورة في الاستدلال مراعاة لأحوال المخاطبين فابتدأ بما هو ظاهر حسي أسبق إلى أذهانهم وهو إخراج النبات من الأرض (**وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا**...)[25]، ثم انتقل إلى ما هو أدق وهو حركة الليل والنهار وبهذا التركيب الفريد (**وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ**...)[26]، ثم تدرج ببيان حركة الشمس والقمر ثم الانتقال إلى ما هو أدق وأعمق وهو استخراج النار من الشجر الأخضر (**الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا**...)[27]، ثم إلى ما هم به مقرون وهو خلق السموات والأرض (**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم**)[28].

20 حيث ذكر أن أبي بن خلف أتى النبي-صلى الله عليه وسلم- بعظم حائل، فقال: يا محمد أترى أن الله يحيى هذه بعد ما قد رم؟ فقال: نعم ويبعثك ويدخلك النار". ينظر الواحدي، علي بن أحمد الواحدي، *أسباب النزول*، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ط أولى 1388هـ/ 1968م، 1، 246 .

21 البقاعي، برهان الدين بن حسن البقاعي، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415ه، 6، 239.

22 يس،36/ 12.

23 يس، 36/ 83.

24 يس،36/ 48-49.

25 يس، 36/ 33.

26 يس، 36/ 37.

27 يس، 36/ 80.

28 يس، 36/ 81.

كما نجد الترقي في الاستدلال من جانب آخر، وهو أنه ابتدأ الاستدلال بما يتلاءم مع حالهم؛ إذ لم يُصَرِّحْ لهم بإنكار، ومن ثم فقد أدمج الامتنان في ذلك، ولما بالغوا في الإنكار والتهكم انهال عليهم بمثله فجمع بين الاستدلال والتهكم حيث استدل بما هم به مقرون، وقد أتى النظم مركزًا على الاستدلال بمرحلة ابتداء الخلق مراعاة لما أورده السياق في عَرْضِ شُبَهِ المنكرين في إحالتهم إحياء العظام بعد ما رُمَّ وتفتت؛ لِبُعْدِهِ عن أسباب الحياة، فأحالهم إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو ابتداء الخلق من العدم وهذا أدل على القدرة.

وقد اتفق النظم الوارد في هذه الآية مع سابقه في آية الإسراء في استعلاء معنى التهكم والسخرية، لكنه لم يبلغ مبلغه مراعاة لحال المخاطبين إذ لم يكن استهزاؤهم عن جحود وعناد، بل كان عن جهل وغفلة ومن ثم فقد اعترض عند عرض شبهتهم بقوله: (....**وَنَسِيَ خَلْقَهُ**..)[29]، ووسمهم بالغفلة في مطلع السورة: (**لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ**)[30]، بخلاف حال المخاطبين في الموضع السابق إذ غلب عليهم العناد والجحود، ومن ثم ختمت الآية بقوله (...**فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا**)[31]، وقد ترتب على ذلك تقرير القدرة على البعث بأكثر من شاهد حسي أو ذهني يكشف عن القدرة المطلقة والعلم التام بخلق الإنسان –وهو استخراج النار من الشجر الأخضر– وخلق السموات والأرض، ومن ثم ترتب على ذلك تباين البناء التركيبي فابتدره بمخاطبة العقل، وخلا النظم من التأكيد، وذَيَّل بما يلائم القدرة على ذلك (...**بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**)[32]، مؤثرًا صيغة المبالغة، وهذا متلائم أتم ملائمة مع مراعاة أحوال المشركين وقت نزول كل سورة إذ كانت سورة يس تسبقها نزولاً، فترتيبها الحادي والأربعين في ترتيب النزول[33] في فترة غلب على المشركين طابع التقليد بدون تدبر أو تفكر، ومن ثم تعالت صيحاتهم بالإنكار للبعث جهلاً وغفلة، بخلاف سورة الإسراء حيث نزلت في أواخر العهد المكي في ذروة العناد والإيذاء للنبي –صلى الله عليه وسلم–، ومن ثم كان التهكم به والاستهزاء بما جاء به؛ ولذا غلب عليهم في هذه السورة طابع الاستهزاء والتهكم والتعجيز.

مواطن الاختلاف بين الآيات الثلاثة وأسرارها البلاغية

29 يس، 36/ 78.

30 يس، 36/ 6.

31 الإسراء، 17/ 99.

32 يس، 36/ 81.

33 السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، *أسرار ترتيب نزول القرآن*، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1990م، 36 – 37.

خلا موضع (يس) من التوكيد، بينما اتفق موضعا الإسراء والأحقاف في التزام نهج التوكيد (**أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إَلاَّ كُفُورًا**)[34]، وقد خلا موضع (يس) من التأكيد وذلك مراعاة لقوة الأدلة الواردة وظهورها في القطع بإمكانية البعث والإعادة، بحيث ينزل فيها المنكر منزلة غير المنكر فيرى إنكاره كلا إنكار (قل يحيها الذي..... الذي جعل من الشجر الأخضر... أوليس الذي....) فتعددت الدلائل الكاشفة عن طلاقة علمه وقدرته، ومن ثم عَقَّبَ تلك الأدلة بالقصر (إنما) دون النفي والاستثناء في قوله تعالى: (**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)[35]، "في الأمر المعلوم أو ما ينزل منزلة ذلك"[36].

أما موضعا الإسراء والأحقاف فقد التزما نهج التوكيد؛ وذلك مراعاة لحال المخاطبين، وما بدا منهم من إنكار شديد استلزم توكيد هذا الخبر، ويشهد لذلك وصفه في الإسراء بالإباء والظلم: (....**فَأَبَى الظَّالِمُونَ إَلاَّ كُفُورًا**)[37]، ومن ثم فقد عطف بالفاء عقب رؤية الشواهد الناطقة لشيء في نفوسهم يدفعهم إلى الجحود، مع الدليل فهم قد وصلوا إلى درجة مبالغ فيها من الإنكار، ومن ثم اتجه إلى إفحامهم بمخاطبة الحس بشاهد لا يستطيعون له جحودًا: (**أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إَلاَّ كُفُورًا**)[38]، كذا الشأن الوارد في سورة الأحقاف حيث روعي التوكيد-أيضًا-؛ لأنه روعي فيه حال المخاطب المنكر، وما بدا فيه من إنكار شديد حتى عد أمر الإعادة والبعث خرافة يهذي بها؛ لسوء إدراكه كما في قوله: (**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**)[39]، ومن ثَمَّ وصفهم بالضلال وأبعدهم عن النصرة (**وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**)[40]، فاستلزم ذلك توكيد الخبر.

اختلف النظم في توكيد الخبر حيث تشابه في (يس، الأحقاف) وخلا منه موضع (الإسراء) حيث ورد في موضعي (يس، الأحقاف (بقادر..) فيما ورد في الإسراء (قادر).

34 الإسراء، 17/ 99؛ الأحقاف، 46/ 33.

35 يس، 36/ 82.

36 الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، *دلائل الإعجاز*، دار الكتاب العربي، بيروت، ط أولى، 1995م، 330.

37 الإسراء، 17/ 99.

38 الإسراء، 17/ 99.

39 الأحقاف، 46/ 17.

40 الأحقاف، 46/ 32.

وقد ورد الخبر مُؤَكَّدًا في الأحقاف؛ ملائمًا مع بناء النظم على التوكيد، حيث تَعَدَّدَت مظاهر ذلك كما سبق، وفى (يس) يتلاءم مع تعداد الأدلة على إبراز قدرته؛ كما اتضح ذلك من خلال الآيات الواردة.

وأول ما يلقانا في بناء آية يس هو إرسال النظم من التوكيد (**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**)[41]، واختلاف مدخول الهمزة ودخول حرف الجر على الخبر (بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)، وهذا يرجع إلى اختلاف السياق الواردة فيه واختلاف أحوال المخاطبين وتفاوت درجتهم في الإنكار والاستهزاء واختلاف مقصود السورة في منهجها في عرض أدلة البعث.

فالملاحظ أن السياق عَرَضَ تَرَقُّبَ هؤلاء المنكرين من البعث وإنكارهم إنكارًا يستعلى عليه الاستهزاء والتهكم حيث جاء قوله تعالى: (**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**)[42]. حيث تَجَرَّأَ وضرب مثلا لمن له القدرة المطلقة؛ لذا قَدَّمَ الجار والمجرور (لنا)، وأوغل في إنكاره فسأل عن المعيد، وآثر إحالته البعث وعودة الحياة إلى العظام بعد تفتتها على نهج سابقيهم، كما هو واضح في سورة الإسراء، ويشهد لذلك -أيضًا- ما جاء في أسباب النزول، فأفحمهم إذا أحالهم إلى ما هم به مقرون؛ ليقابل الاستهزاء باستهزاء أشد.

وقد جاء الاستدلال بهذا الأسلوب والبناء ملائمًا لمقصود السورة ونهجها في عرض أدلة البعث إذ مقصودها "إثبات الرسالة للإنذار بيوم الجمع"[43].

ومن ثَمَّ فقد بُنِيَتْ السورة على تقرير البعث من أولها إلى آخرها، وحشد الأدلة على ذلك؛ وذلك واضح من مفتتح السورة حيث قال في أولها: (**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**)[44]، وختمت بقوله: (**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**)[45]، وانفردت في الإجابة عن تساؤلهم عن ميعاده (**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ**)[46]؛ ولذا تعددت فيها وسائل الاستدلال على البعث منها ما اتجه إلى مخاطبة العقل تارة، ومنها ما اتجه إلى مخاطبة الحس، ومنها ما اتجه إلى مخاطبتهما معًا.

41 يس، 36/ 81.

42 يس، 36/ 78.

43 البقاعي، نظم الدرر 6/ 239.

44 يس، 36/ 12.

45 يس، 36/ 83.

46 يس، 36/ 48-49.

وقد اتخذت السورة مظاهر الطبيعة وسيلة للاستدلال على البعث، وقد تَرَقَّتْ في الاستدلال مراعاة لأحوال المخاطبين فابتدأت بما هو ظاهر حسي إذ هو أسبق إلى أذهانهم، كإخراج النبات من الأرض (**وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ**)[47].

ثم انتقل إلى ما هو أدق كحركة الليل والنهار، فجاءت بهذا التركيب الفريد: (**وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ**)[48]، ثم تَدَرَّجَ ببيان حركة الشمس والقمر، ثم الانتقال إلى ما هو أدق وأعمق، وهو استخراج النار من الشجر الأخضر (**الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ**)[49]، ثم إلى ما هو مقرون به وهو خلق السموات والأرض (**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**)[50]

كما نجد التَّرَقِّي في الاستدلال من جانب آخر وهو أنه ابتدأ الاستدلال بما يتلاءم مع حالهم إذ لم يُصَرِّحْ بإنكارهم للبعث، ومن ثم فقد أدمج الامتنان في ذلك، ولما بالغوا في الإنكار والتهكم انهال عليهم بمثله فجمع بين الاستدلال والتهكم حيث استدل بما هم به مقرون.

وقد أتى النظم مُرَكِّزًا على الاستدلال بمرحلة ابتداء الخلق؛ مراعاة لما أورده السياق من عَرْضِ شُبَهِ المنكرين، في إحالتهم إحياء العظام بعد ما رمت وتفتتت؛ لبعده عن أسباب الحياة فأحالهم إلى ما هو أبعد عن ذلك، وهو ابتداء الخلق من العدم وهذا أدل على القدرة.

وقد سيق النظم لإرادة تقريرهم بقدرة خالق السموات والأرض على إعادتهم؛ ملائمة لإيغالهم في الإنكار بسؤالهم عن المعيد، ومن ثم تتابعت الشواهد الناطقة ببديع صنعه، الكاشف عن طلاقة قدرته المستلزمة لأمر الإعادة.

وقد اتفق النظم مع سابقة في استعلاء معنى التهكم والسخرية، لكنه لم يبلغ مبلغه؛ مراعاة لحال المخاطبين إذ لم يكن استهزاؤهم عن جحود وعناد، بل كان عن جهل وغفلة، ومن ثم فقد جاءت الجملة الاعتراضية: (....**وَنَسِيَ خَلْقَهُ**...)[51]؛ لتدلل على تلك الغفلة التي وضحها في مطلع السورة بقوله: (**لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ**)[52]، بخلاف حال المخاطبين في الموضع السابق إذ غلب عليهم العناد والجحود، ومن ثم ختمت الآية بقوله: (....**فَأَبَىٰ**

47 يس، 36/ 33.

48 يس، 36/ 37.

49 يس، 36/ 80.

50 يس، 36/ 81.

51 يس، 36/ 78.

52 يس، 36/ 6.

الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا)[53]، وقد ترتب على ذلك تقرير القدرة على البعث بأكثر من شاهد حسي أو ذهني يكشف عن القدرة المطلقة والعلم التام، بخلق الإنسان – استخراج النار من الشجر الأخضر، خلق السموات والأرض، ومن ثم ترتب على ذلك تباين البناء التركيبي، فابتدره بمخاطبة العقل، ولما خلى النظم من التأكيد ذيل بلاءم القدرة على ذلك بقوله: (...**بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)**[54]، مؤثرًا صيغة المبالغة، وهذا متلائم أتم ملاءمة مع مراعاة أحوال المشركين وقت نزول كل سورة، إذ كانت سورة يس تسبقها نزولاً، فترتيبها (الحادي والأربعين)[55] ، في فترة غلب على المشركين طابع الِاتِّبَاعِ والتقليد بدون تَدَبُّرٍ ، ومن ثَمَّ تعالت صيحاتهم بإنكار البعث جهلاً وغفلة، بخلاف سورة الإسراء حيث نزلت في أواخر العهد المكي في ذروة العناد والإيذاء للنبي–صلى الله عليه وسلم– وصحبه، ومن ثم كان التهكم به والاستهزاء بما جاء به ولذا غلب عليهم في هذه السورة طابع الاستهزاء والتهكم والتعجيز.والمحور الذي تدور عليه سورة الأحقاف هو إثبات البعث والجزاء وهذا مقصود القرآن كله. قال العلامة الرازي: "من تأمل هذا البيان، علم أن المقصود من كل القرآن تقرير التوحيد والنبوة والمعاد"[56]

يقول العلامة الرازي: "وإلى هاهنا يقصد بقوله: (**وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)**[57]

ثم الكلام في التوحيد وفى النبوة ثم ذكر عقبها تقرير البعث والمعاد"[58].

وجاء قوله تعالى: (**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**[59]، وهذا عود على بدء، فقد ابتدأ السورة الكريمة بالإشارة إلى الدليل على البعث في الهدف من الخلق: (**مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ**....)[60]، ويتصل بذلك قوله تعالى: (**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا**

53 الأحقاف، 46/ 99.

54 يس، 36/ 81.

55 ينظر السيوطي، *أسرار ترتيب نزول القرآن*، 36 ، 37.

56 الرازي، فخر الدين بن محمد الرازي، *مفاتيح الغيب*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى، 28، 30.

57 الأحقاف، 46/ 32.

58 الرازي، *مفاتيح الغيب*، 28، 30.

59 الأحقاف، 46/ 33.

60 الأحقاف، 46/ 3.

أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ....) إلى قوله: (...**فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**)[61]، والمقصود من هذه الآية إقامة الأدلة على كونه سبحانه قادرًا على البعث، والدليل عليه أن الله –سبحانه وتعالى– قد أقام الدلائل في أول السورة على أنه هو الذي خلق السموات والأرض، وقد ذكر أن المشركين معترفون بذلك، ولا شك أن خلق السموات والأرض أعظم وأفخم من إعادة هذا الشخص حيًا بعد أن صار ميتًا؛ لأن القادر على الأقوى والأكمل قادر ولاشك على الأقل والأضعف[62].

ويلاحظ أنَّ البِنَاءَ التركيبي في هذه الآية اختلف عن سابقيه، فقد تَطَرَّقَ النظم القرآني إلى جوانب متعددة في إبراز القدرة على الإعادة مرة ثانية، فقد بُنِيَ النظم على التوكيد، وتَعَدَّدَتْ مظاهره في الآية بنفي العي بقوله: (...**وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ**...)[63]، ومن ثم ذيلت الآية بما يكشف عن ذلك بقوله: (...**بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[64]، مبالغة في إبراز القدرة المطلقة لله –سبحانه وتعالى–، وقد جاء هذا النظم ملائمًا لمقصود السورة، إذ مقصودها "إنذار الكافرين على صدق الوعد وقيام الساعة"[65].

ولذا اتخذت السورة نهجًا خاصًا عند عرض معانيها وأغراضها، حيث بُنِيَتْ على تقرير هذا المعنى بشتى الوسائل، بالتأمل والتفكر في خلق الآيات الكونية كما اتضح ذلك جليًا في قوله: (**مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ**)[66]، أو المجادلة والمحاورة في قوله: (**قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**)[67]، وكذلك مصارع المكذبين؛ كقوم عاد وما حول المخاطبين من القرى التي أعرضت عن الذكر، فذكرها هنا بقصد الإنذار، وأقام عرضها على إنذار هود لقومه ومن ثم بادرهم بالخوف من العذاب (**وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**)[68]

وكذلك موقف الجن عند استماعهم للقرآن الكريم، حيث اكتفى السياق بعرض استماعهم وإنذار قومهم، وقد لاءم ذلك أن يأتي إنكار البعث في سياق الإنذار، حيث ظهر ذلك على لسان أحدهم عند إنذار والديه له بقولهما كما أخبر

61 الأحقاف، 46/ 17.

62 الرازي، *مفاتيح الغيب*، 28، 30.

63 الأحقاف، 46/ 33.

64 الأحقاف، 46/ 33.

65 لبقاعي، *نظم الدرر*، 7، 114.

66 الأحقاف، 46/ 3.

67 الأحقاف، 46/ 4.

68 الأحقاف، 46/ 21.

سبحانه وتعالى: (...**إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**)[69]؛ لذا فقد عرضت السورة موقف المخاطبين من البعث عرضًا يكشف عن إنكارهم الشديد له؛ لجهالتهم وسوء إدراكهم، عرضًا يتلاقى مع سياق الإنذار، حيث اكتفت بالإشارة إلى إنكارهم الشديد، فقد جاءت على لسان من عصى والديه لاعتقاده بعدم البعث والجزاء فقال لهما كما قال المولى عز وجل مخبرًا عنه: (**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**)[70]، منكرًا ذلك ومتعجبًا بمن يؤمن به، ومن ثَمَّ قد استغرق في استبعاد ذلك بمجيء حرف الجر في قوله: (مِن قَبْلِي)، فقد افتقد أَخَصَّ ما منحه الله له وهو العقل الذي يدعوه إلى التدبر، فقد ادَّعَى كون هذا الأمر مُجَرَّدَ خُرَافَةٍ لا واقع لها فقال: (....**مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**)[71]، ولذا انشغل بدنياه واستمتع بها (.....**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا**)[72].

فحالهم حال من هو في ضلال مبين، وحال من (...**لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**)[73]، ومن ثَم لم ترد مظاهر الاستهزاء بالبعث واضحة -كما هو الشأن في الموضعين السابقين- فلاءم ذلك مما يقابل الإنكار الشديد بشاهد لا يقبل جحودًا ولا إنكارًا؛ لوضوحه الذي استدعى إقرارهم بخلق السموات والأرض، وقد لاءم -أيضًا- مقابلة استيلاء هذا الإنكار على نفوسهم بالمبالغة في إظهار القدرة على إعادتهم، فَقَرَّرهُمْ بقدرة خالق السموات والأرض على إعادتهم.

وقد أتى التركيز على إبراز مرحلة ابتداء الخلق ملائماً لإنكارهم مطلق عود الحياة إلى الموتى لاستغراقهم في ذلك (...**وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي**)[74]، فأحالهم إلى ما خلق من عدم، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الاستدلال بهذا الأسلوب بالتركيز على تلك المرحلة، متلائم مع حال المخاطبين وموقفهم من البعث، والحكم عليه بأنه خرافة لا واقع لها؛ فقابل ذلك واستدل عليه بما هو واقع لا محالة، كما يتلاءم مع قوله في مطلع السورة: (**مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ**)[75]، فلاءم بين ما استدل به أولاً وآخرًا، ولما بالغوا في إنكار القدرة على البعث قوبل ذلك بالمبالغة في إبراز القدرة عليه ومن ثم فقد بني النظم على التوكيد،

69 الأحقاف، 46/ 17.

70 الأحقاف، 46/ 17.

71 الأحقاف، 46/ 17.

72 الأحقاف، 46/ 20.

73 الأحقاف، 46/ 32.

74 الأحقاف، 46/ 17.

75 الأحقاف، 46/ 3.

وتعددت الأدلة على ذلك، وذيل الشاهد بما يلائم ذلك فقال: (**إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) وملاءمة لمقصود السورة لم يأت التركيز على إبراز صيحات المنكرين بالاستهزاء والتهكم، فكان لذلك أثره البين في تباين النظم عن سابقه، وهذا يتلاقى مع كون هذا الموضع آخر المواضع الثلاثة ورودًا ونزولاً في المصحف[76].

هذا ما كان من أمر السياق، والذي أوجب تشابها في نظم تلك المواضع، ومن ثَمَّ تلاقت في مواطن واختلفت في أخرى، على نحو ما سنرى.

بلاغة التعبير بالاستفهام

اتفاق هذه المواضع في البناء التركيبي الذي بني عليه النظم حيث أوثِرَ الأسلوب الإنشائي في صورة الاستفهام، وذلك لما يبعثه الاستفهام في نفس المتلقي من كثير من الإيماءات، حيث يستلزم الاستفهام الإثارة والتنبيه ولفت الأذهان إلى بديع صنع الله، وطلاقة قدرته في خلق السماوات والأرض.

كما أن التعبير بالاستفهام يتلاقى مع حال المخاطبين وموقفهم من البعث؛ لما يستلزمه الاستفهام من إعطاء فسحة لمعان تتوارد فيكشف عما في نفوسهم من إنكار وجحود لما هو ظاهر، كالتعجب من شأنهم إزاء غفلتهم عن تلك الدلائل والإنكار عليهم وتوبيخهم لتماديهم في الإنكار، وتسفيه عقولهم لسوء إدراكهم، إذ هم مقرون بخلق السموات والأرض، وأنه أعظم من خلقهم وبقدرة الله -سبحانه وتعالى-.

ومما يلاحظ في هذه المواضع، أن الاستفهام الوارد في هذه الآيات يتلاءم مع نَظْمِ الشُّبَهِ التي أوردوها كما في قوله تعالى: (**وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**)[77]، وقوله: (**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**)[78]، وقوله: (...**أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**)[79].

76 ينظر الرازي، *أسرار ترتيب السور*، 36، 37.

77 الإسراء، 17/ 49.

78 يس،36/ 78.

79 الأحقاف، 46/ 17.

كما يتلاقى بناء النظم على الاستفهام في آية (يس/ 81)، مع اطِّرَادِ بناء النظم على الاستفهام كما في قوله تعالى: **(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ)**[80]، وقوله تعالى: **(أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ)**[81].

أما عن نوع الاستفهام في الآيات، فقد اختلف العلماء في بيان مدلوله في كل موضع، ما بين الإنكار والتقرير، حيث نجد: في موضوع الإسراء: **(أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إَلاَّ كُفُورًا)**[82]، فقد قيل: إن الاستفهام هنا يفيد التقرير[83] وقيل: إن مدلول الاستفهام هنا الإنكار والتوبيخ؛ لأنهم كانوا يستبعدون الإعادة، واحتجاجا بأنهم قد رأوا قدرة الله على خلق هذه الأجرام العظيمة إلى بعض ما تحويه من البشر، فكيف يقرون بخلق هذا المخلوق العظيم

ثم ينكرون إعادة بعض ما خلق، ومن ثم فهو إنكار مشوب بتعجب[84] وكذلك موضع (يس) فقد ذهب العلامة الآلوسي إلى أن مدلول الاستفهام هو الإنكار[85]، وذهب آخرون إلى أن مدلوله التقرير، وكذلك موضع الأحقاف يرى البعض أن الاستفهام يفيد التقرير، ويرى آخرون أن الاستفهام يفيد الإنكار.

والمناسب للمقام والسياق أن يكون الاستفهام في الآيات الثلاثة للتقرير وليس للإنكار، وذلك مراعاة لحال المخاطبين وموقفهم من البعث، وموقفهم أيضًا من خلق السموات والأرض، وذلك لما يستلزمه من إفحامهم بإلزامهم الحجة، إذ أحالهم إلى ما هم به مقرون وفى ذلك إفساح المجال للمُقَرَّرِ، إن كان يَرُوْمُ إنكار ما قُرِّرَ عليه ثقة من المُقَرِّرِ بأن المُقَرَّ لا يُقدِمُ على الجحود والإنكار بما قُرِّرَ عليه لظهوره، وهذا الوجه أشد في النعي عليهم[86].

80 يس، 36/ 71.

81 يس، 36/ 77.

82 الإسراء، 17/ 99.

83 ينظر الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت عبد الرازق المهدي، 2، 696، وينظر، أبو السعود، محمد العمادي أبو السعود، *وإرشاد العقل السليم*،دار التراث العربي، بيروت، بدون، 5، 197.

84 ينظر ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، ت عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى، 1413ه، 1993م، وينظر أبو حيان، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط*، ت صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط 1420ه، وينظر الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير*، 53،*26*.

85 الآلوسي، محمود أبو الفضل الآلوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون، 23، 56.

86 الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير*، 228،26.

والاستفهام أتم في إظهار سفه عقولهم؛ تهكمًا بهم ليقابل استهزاءهم بالبعث، كما في موضعي (يس، والإسراء) بالاستهزاء بهم، ويقابل ثباتهم وتمكنهم وإصرارهم على الإنكار في موضع الأحقاف بما يهزهم.

كما أنَّ ما ذَكَرُوْهُ من كون مدلول الاستفهام هو الإنكار، قول لا يجاريهم عليه متفق؛ لأن الإنكار إذا كان في الاستفهام فلا يكون مسلطًا إلا على نفي الرؤية كما في (الإسراء، والأحقاف) وفي هذا تَحَدٍّ شديد، إذ كلامهم يناقضه، فقد أجمعوا على أن منكري البعث قد رأوا وعلموا دلائل قدرة الله في الكون، فكيف يكون ذلك منكرًا من قبل الله عليهم؟؟ ولو كانت الرؤية مُنْكَرَةً لكان ذلك عذرًا لهم[87]، ومما يؤيد أن الاستفهام في الآيات للتقرير وليس للإنكار، أن دلالة الاستفهام على التقرير تتلاقى مع موقفهم من خلق السموات والأرض واعترافهم بكونها أشد وأعظم هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن دلالة التقرير تتناسب مع السياق القبلي إذ يتحدث عن جزائهم في النار وما يلاقون من ألوان العذاب، فلا يسعهم سوى الإقرار والاعتراف إذ لا مجال للعناد والمكابرة: (...**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ**...)[88].

وفى موضع (الأحقاف) يتلاقى الاستفهام مع السياق البعدى حيث يعرض جزاءهم وإقرارهم بما أنكروه في قوله تعالى: (**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**)[89].

وفى موضع (يس) يتلاقى الاستفهام مع تتابع الأدلة الناطقة بالقدرة على ذلك، والتي لم تدع لهم مجالاً للشك: (**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ. أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)[90]، فلقوة دلالتها وظهورها لا يسعهم سوى التسليم والانقياد والإقرار.

إيثار التعبير بالهمزة دون غيرها من أدوات الاستفهام

اتفقت هذه المواضع -أيضًا- في أداة الاستفهام وهي الهمزة دون غيرها من أدوات الاستفهام "لكونها أم الباب، ومن ثم يصلح بها ما لا يصلح بغيرها كجمعها بين إدراك التصور والتصديق"[91].

87 المطعني، *التفسير البلاغي للاستفهام*، 2، 228 .

88 الإسراء، 17/ 97.

89 الأحقاف، 46/ 34.

90 يس، 36/ 77-82.

91 ينظر التفتازاني، سعد الدين بن مسعود التفتا زاني، المطول، ت عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون، 266.

فالهمزة يسأل بها عن جميع أجزاء النظم -بخلاف غيرها- حيث يُسْأَلُ بها عن جزء بعينه وهذا متلائم مع اختلاف هذه المواضع فيما أريد تقريره، حيث تَنَوَّعَ مدخول الهمزة تبعًا لِتَنَوُّعِ السياق والغرض المراد، حيث نجد اتفاقًا في موضعي (الإسراء والأحقاف) من تقرير نفى الرؤية: **(أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إَلاَّ كُفُورًا)**[92]، وفى موضع (يس) نجد تقريرًا بقدرة خالق السموات والأرض على خلق أمثالهم، ففي الموضعين الأولين تقرير بشاهد حسي، وهو خلق السماوات والأرض، وفى الموضع الأخير تقرير بشاهد ذهني.

والاستفهام بالهمزة يتلاقى مع سياق المجادلة، الذي يستلزم سرعة إفحامهم بما هم به مقرون لما تمتاز به من السرعة والخفة والوضوح، إذ لا تلتبس بغيرها، كما يتلاقى ذلك مع وضوح هذا المظهر وقوة دلائله التي تأخذ الألباب وتحرك المشاعر بسرعة خاطفة، ومن ثم يطرد التعبير بها في المواطن المشدودة الثائرة، والمقامات القوية؛ لتخرج مع النطق بها جميع الطاقات الانفعالية الكامنة داخل نفس المتكلم، والتي يدفعها دفعا، ويزجيها في ثورة عارمة.

سر مجيء حرف العطف(و) بعد الهمزة.

واتفقت هذه المواضع -أيضًا- في إيلاء حرف العطف (الواو) همزة الاستفهام (أولم يروا...) في موضعي (الإسراء والأحقاف) و(أو ليس) في موضع (يس) "يشير بالواو إشارة خفية إلى أن قبح فعله صار بمنزلة فعلين قبيحين،..... لأن الواو تنبئ عن إضافة أمر مغاير لما بعدها وإن لم يكن هناك سابق، لكنه يومئ بالواو إليه زيادة في الإنكار"[93].

إيثار التعبير بمادة خلق

واتفقت هذه المواضع - أيضًا- في الاستدلال بمرحلة ابتداء الخلق (خلق السموات والأرض) كما في(الإسراء- يس- الأحقاف)، وإيثار التعبير بمادة (خلق) دون غيرها من نحو (فطر- أنشأ)؛ ذلك لما في دلالة هذه المادة من معان وإيحاءات تتلاقى مع إبراز طلاقة القدرة، فهي وإن اشتركت مع (فطر) في الإشارة إلى مرحلة ابتداء الخلق، إلا أن مادة (خلق) تنفرد بإيحاءات تتلاقى مع الغرض المراد من السياق؛ كالإشارة إلى الاختراع والابتداء من العدم، فالقادر الذي خلق السماء من العدم قادر على إحيائهم بعد ما رَمَّتْ عظامهم، ولما فيها من معنى التقرير، وذلك أَدَلُّ على تمام أمر البعث.

92 الإسراء، 17/ 99.

93 ينظر الرازي، *مفاتيح الغيب*، 27، 128.

فهذه المادة أشارت إلى ابتداء خلق السموات والأرض؛ ليقابل به ابتداء خلقهم، ردًا على إنكارهم ذلك كما في قولهم (..**أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**)[94].

السر البلاغي في التعبير بالاسم الموصول

واتفقت هذه المواضع -أيضًا- في التعبير بالموصولية (....**الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**.....)[95]، وذلك لما تستلزمه الصلة من معان مقصودة في الكلام، فتتلاقى مع تحقيق الغرض؛ إذ يشترط كونها معلومة، وهذا ملائم لإقرارهم بالقدرة على خلق هذا المظهر؛ إذ أحالهم إلى ما هو معلوم لديهم، ومن ثم لا يبقى سوى التسليم، كما أن كونه من فعل الله -تعالى- لا ينازعون فيه[96].

وإيثار التعبير بالموصول ملائم لما اطرد من وروده في كل سورة، حيث كثر ورود التعبير به في سورة الإسراء، ففي مطلعها قال تعالى: (**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً**...)[97]، وقال -أيضًا- (**وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا**..)[98]، وقوله (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرً**)[99].

وورد التعبير بالموصول في سورة يس في (16 موضع) كقوله تعالى: (**الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ**)[100]، وقوله (**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**)[101]، وقوله: (**وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**)[102].

94 الإسراء، 17/ 98.

95 الأحقاف، 46/ 33.

96 الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير*، 14، 173.

97 الإسراء، 17/ 1.

98 الإسراء، 17/ 33.

99 الإسراء، 17/ 9.

100 يس، 36/ 80.

101 يس، 36/ 79.

102 يس، 36/ 22.

وورد التعبير في سورة الأحقاف في (22 موضعاً) منها قوله تعالى: (....**وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ**)[103]، وقوله: (**قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**)[104]، وقوله (**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**)[105].

ويلاحظ أن التعبير بالاسم الموصول قد اختلف في صلته بما قبله، حيث انفرد في موضع (يس)، فقد أسند إليه الفعل (ليس)، بخلاف موضعي (الأحقاف والإسراء)، حيث وقع الاسم الموصول وصلته صفة الاسم الجلالة (الله).

إيثار التعبير بالألوهية في الآيات

وقد أوثر تعريف المسند إليه بالعلمية (الله)؛ امتثالاً لمقتضيات استلزمت ذلك، حيث إن التعريف بِعَلَمِ الذَّاتِ يتلاقى مع الغرض الذي سيق له الاستدلال بهذا المظهر، وهو إبراز طلاقة القدرة على البعث؛ لأن لفظ الجلالة(الله) يدل على كمال القدرة والهيمنة والعلم لحرمة معاني الأسماء الحسنى؛ ولذا يَطَّرِدُ التعبير به في سياقات إبراز طلاقة القدرة كما في قوله تعالى: (**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاء وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**)[106]، وقوله: (...**إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ. وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**)[107]، فهو بإيثاره يتلاقى مع السياق القبلي في موضع الإسراء، إذ أشار إلى استهزاء المشركين بالنبي –صلى الله عليه وسلم– وتعجيزهم له بطلبهم ما يكشف عن التشكيك في قدرته –سبحانه– كما يتلاقى مع ما بدر من منكري البعث في موضع الأحقاف من الإيغال في إنكار القادر على بعث الموتى بعد ما خلت بقرون مديدة (...**أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي** ...)[108]، كما أن إيثار التعبير بلفظ الجلالة بما يستلزمه من التعظيم والتفخيم، يتلاقى مع عظمة وفخامة أدلة السماوات والأرض لقوتها ووضوحها.

كما يتلاقى التعبير بلفظ الجلالة مع ما ورد من تهديد ووعيد في السياق القبلي والبعدي في كل موضع لما يستلزمه من المهابة والجلال فهو يتلاقى مع ما ورد في السياق القبلي في مواضع الإسراء في قوله تعالى: (**وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا**

103 الأحقاف، 46/ 3.

104 الأحقاف، 46/ 4.

105 الأحقاف، 46/ 27.

106 الروم، 30/ 48.

107 إبراهيم، 14/ 19–20.

108 الأحقاف، 46/ 17.

خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا)[109]، ويتلافى مع ما ورد من تهديد في السياق القبلي في موضع الأحقاف (**وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**)[110].

اتفقت هذه الآيات في تعريف المنكرين للبعث بضمير الغيبة: (**أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**....)[111]؛ وذلك ليقابل هذه العظمة في الخلق والتقدير بهوان إعادتهم لما يستلزمه التعريف بضمير الغيبة من الإشارة إلى عدم المبالاة به لحقارته وانحطاط شأنه، وهذا ملائم لإرادة الاستهزاء وشدة الإنكار، ومن ثم لم يتأت التعبير عنهم بالاسم الظاهر أو ضمير المتكلم " ملفت الكلام إلى الغيبة؛ إيذانًا بأنهم صاروا بهذا الجدل أهلاً لغاية الغضب"[112] وهذا ما يسمى بالالتفات من التكلم إلى الغيبة مما يدل على شدة الغضب منهم وكأنهم ليسوا أهلا للخطاب.

ويلاحظ أن المسند جاء على صيغة اسم الفاعل (بقادر)؛ وذلك لدلالة اسم الفاعل على الثبوت والدوام فهو – سبحانه– "ثابت له قدرة لا يساويها قدرة"[113].

الخاتمة

بعد طول استقراء للآيات الواردة محل البحث، وتدقيق النظر فيما اشتملت عليه من أسرار وأساليب بلاغية، وامعان النظر في طريقة نظم القرآن في الرد على المشككين والمنكرين للبعث، توصل البحث إلى النتائج التالية:

اعتمدت الآيات على الحجج العقلية والأدلة المحسوسة الدالة على قدرة الله على البعث، مخاطبة العقل والقلب معا، وتجعلهما على يقين بأن الله على كل شيء قدير.

ساق القرآن الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة، فأخذ بأيدي المنكرين إلى الاعتراف بقدرة الله المطلقة.

تنوعت وسائل الإقناع في الآيات ووظفت في مكانها اللائق بها كالإجمال والتفصيل والاستفهام...إلخ بقصد توبيخ المنكرين؛ حتى يرتدعوا عن خطئهم.

109 الإسراء، 17/ 97.

110 الأحقاف، 46/ 32.

111 الإسراء، 17/ 99؛ الأحقاف، 46/ 33.

112 البقاعي، *نظم الدرر*، *6*، *87*.

113 المصدر السابق.

يلاحظ أن النظم القرآني آثر التعبير بمادة خلق مما يدل على دقة النظم في وضع الألفاظ في أماكنها؛ حيث إنَّ الخلق أصله التقدير، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء وهذا يتلاءم مع مقام وسياق الآيات؛ حيث إن خلق السموات والأرض وجد على غير مثال سابق مما يدل على طلاقة قدرة الخالق – سبحانه وتعالى–.

يلاحظ أن النظم القرآني في الآيات آثر تقديم السموات والأرض؛ وذلك لكون مظاهر القدرة المستلزمة لهوان أمر الإعادة أبرز وأوضح في جانب خلق السموات من الأرض، فكان تقديم السموات في الآيات أولى وأقوى في التأثير، ويتلاءم مع حال المخاطبين وموقفهم من إنكار البعث.

يلاحظ في الآيات محل البحث أن مجيء لفظ السموات جمعا بينما أفردت الأرض مع أنها سبع أراضين كالسموات وذلك لأن الملحوظ في الاستعمال القرآني أن الأرض لم تأت بصيغة الجمع مطلقا، ولما أريد جمعها قيل:(ومن الأرض مثلهن) الطلاق: 12، وذلك لثقل جموعها ومنها أرَضون– أرْضون– أرضات، وإيثار الأخف من الألفاظ الذي يسبق بسلاسته وعذوبته إلى القلب قبل أن يسبق بحسن جرسه السمع ضرب من ضروب الفصاحة، وهو في النظم الكريم ضرب من ضروب الإعجاز[114].

آثر النظم القرآني التعبير بالأسلوب الإنشائي الذي جاء في صورة الاستفهام(أو لم يروا) ، (أو ليس) في الآيات الثلاث، لأن الاستفهام في أصل وصفه يتطلب جوابا يحتاج إلى تفكير يقع به الجواب في موضعه، ولما كان المسؤول يجيب بعد تفكر وروية عن هذه الأسئلة كان توجيه السؤال إليه حملا له على الإقرار، وقد جاء التعبير بالاستفهام في الآيات الثلاث للتقرير.

KAYNAKÇA (Latin Harfleriyle)

el-Âlûsî, Mahmûd Ebu'l-Fadl, *Rûhu'l-Meânî fî Tefsîri'l-Kur'an ve's-Seb'i'l-Mesânî,* thk., Ali Abdulbârî, Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, Beyrut, 1415.

el-Bikâî, Burhânuddîn el-Bikâî, *Nazmu'd-Dürer fî Tenâsübi'l-Âyâti ve's-Süver,* Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, Beyrut, 1415.

el-Curcânî, Ebû Bekr Abdulkâhir, *Delâilu'l-İ'câz,* Dâru'l-Kütübi'l-Arabî, I. bsk., Beyrut, 1995.

Ebû Hayyân, Muhammmed b. Yusuf Ebû Hayyân, *el-Bahru'l-Muhît,* thk., Âdil Ahmed Abdu'l-Mevcûd, Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, Beyrut, 1422/2001.

114 الخضري، محمد الأمين الخضري، *الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن*، مطبعة الحسين، القاهرة، ط أولى، 1413ه، 1993م، 129.

Ebu's-Suûd, Muhammed el-İmâdî, *İrşâdu'l-Akli's-Selîm ilâ Mezâyâ'l-Kur'ani'l-Kerîm,* Dâru İhyâi't-Türâsi'l-Arabî, Beyrut, trs.

el-Hudarî, Muhammed el-Emîn, *el-İ'câz el-Beyânî fî Siyağı'l-Elfâz, Dırâse Tahlîliyye li'l-İfrâd ve'l-Cem' fi'l-Kur'ân,* Matbaatu'l-Huseyn, I. bsk., Kahire, 1413/1993.

İbn Âşûr, Muhammed b. et-Tâhir b. Âşûr, *et-Tahrîr ve't-Tenvîr,* Dâru Sahnûn, Tunus, 1410/1997.

İbn Atıyye, Ebû Muhammed Abdulhak, *el-Muharraru'l-Vecîz fî Tefsîri'l-Kitâbi'l-Azîz,* thk., Abdusselâm Abduşşâfî, Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, I. bsk., Beyrut, 1413/1993.

el-Matanî, Abdulazîm, *et-Tefsîru'l-Belâğî li'l-İstifhâm fi'l-Kur'an,* Mektebetü Vehbe, I. bsk., 1420/1999.

er-Râzî, Fahruddîn er-Râzî, *Mefâtîhu'l-Ğayb,* Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, Beyrut, 1421/2000.

es-Suyûtî, Celâluddîn Abdurrahman b. Ebî Bekr, *Esrâru Tertîbi Nüzûli'l-Kur'ân,* el-Hey'etü'l-Mısriyye li'l-Kitâb, Kahire, 1990.

et-Taftazânî, Sa'duddîn, *el-Mutavvel,* Mektebetu'd-Dâverî, İran, trs.

el-Vâhidî, Ali b. Ahmed, *Esbâbu'n-Nuzûl,* Müessestü'l-Halebî, I. bsk., Kahire, 1388/1968.

----------, *el-İ'câz fî Neskı'l-Kur'ân Dırâse li'l-Fasl ve'l-Vasl beyne'l-Müfredât,* Mektebetu vehbe, I. bsk., 2001.

ez-Zemahşerî, Ebu'l-Kâsım Mahmûd b. Ömer, *el-Keşşâf an Hakâiki't-Tenzîl ve uyûni'l-Ekâvîl,* thk., Abdurrazzak el-Mehdî, Dâru İhyâi't-Turâsi'l-Arabî, Beyrut, trs.

VERSES WHICH MENTIONED ABOUT THE CREATION OF THE HEAVENS AND THE EARTH IN THE SURAS ISRA, YASIN AND AHKAF FOR THE RESURRACTION

There are some verses in The Holy Qur'an that express the creation of the heavens and the earth is the evidence of resurrection after death. This research is limited to the relevant verses in Suras Yâsin, İsrâ and Ahkâh. Verses on the subject, Glossary, utilizing the works related to İ'câzu'l-Qur'an was assayed rhetoric. The eloquent about the issues in these verses the most prominent aspects of the various styles of discourse and words of the Qur'anic text to show the accuracy of the election, Rhetoric and style rules are applied to this verses.